﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: 75]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

حديث الحقّ تبارك وتعالى في الآية السّابقة عن قلوب هؤلاء الّتي غدت كالحجارة أو أشدّ قسوة؛ لملابستها المعاصي، وكثرة التّجرؤ على الله؛ "تسبب عن ذلك بُعْدَهم عن الإيمان، فالتفت إلى المؤمنين يؤيسهم من فلاحهم؛ تسلية للنّبيّ ﷺ عمّا كان يشتدّ حرصه عليه من طلب إيمانهم في مَعرِض التّنكيت عليهم، والتّبكيت لهم منكرا للطّمع في إيمانهم بعد ما قرّر أنّه تكرّر من كفرانهم، فقال: أفتطمعون"[1]، أفبعد ذلك يطمع طامع في أن يؤمن هؤلاء القوم، وقد ورثوا من أسلافهم تاريخًا مُلوّثًا؟.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾: الجذر اللّغويّ له (طمع)، والأصل في معناه " يدُلُّ على رجاءٍ في القَلبِ قويٍّ للشَّيءِ، يُقالُ: طَمِعَ في الشَّيءِ طَمَعًا وطَماعَةً وطَماعِيَةً"[2]، وهو النّزوع إلى الشّيء؛ لأجل شَهوة في النّفس[3].

"وأكثرُ ما يُستَعمَلُ فيما يَقرُبُ حصولُهُ، وقد يُستَعمَلُ بمعنى الأمل، ومِن كلامِهم: طَمِعَ في غيرِ مَطمَعٍ، إذا أمَّلَ ما يَبعُدُ حصولُهُ؛ لأنَّه قد يقعُ كلُّ واحدٍ مَوقِعَ الآخَرِ"[4]، ومعنى الفعل في الآية: أفترجون يا معشر المؤمنين.

2) ﴿يُؤْمِنُواْ﴾: جذره اللّغويّ (أمن)، وهي تدُلُّ على سكون القلب وتصديقه[5]، وأصلُ الأمن طمأنينة النّفس وزوال الخوف، وفعله أمن، أمّا آمن فله وجهان[6].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 1/484-485.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طمع).
(3) الرّاغب، المفردات: (طمع).
(4) الفيوميّ، المصباح المنير: (طمع).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أمن).
(6) الرّاغب، المفردات: (أمن).

أحدهما: أن يكون مُتعدّيًا، تقول: آمنتُه، إذا جعلت له الأمن والأمان، ومنه في وجه[1] اسم الله المؤمن. والآخر أن يكون لازماً، ومعنى (آمن) على هذا: صار ذا أمن، والمصدر الإيمان، وهو التّصديق باتّفاق أهل اللّغة[2].

والإيمان في الشّرع يُطلق إطلاقين[3]: إطلاقًا عامًّا تندرج فيه جميع أمور الدّين العلميّة والعمليّة؛ فهو بهذا الاعتبار قول وعمل واعتقاد، وإطلاقًا خاصًا، والمُرادُ به التّصديق والإقرار بأصول الإيمان السّتة المشهورة.

والفعل (يؤمنوا) في الآية على "معنى: (يُقِرُّوا)، وكأنَّ فيه تَلميحًا إلى أنَّ إيمانَهُم بصدقِ الرَّسولِ حاصِلٌ، ولكنَّهُم يُكابِرونَ ويَجحَدونَ"[4].

3) ﴿فَرِيقٌ﴾: جذره اللّغويّ من (فرق)، وهو من الفصل والتّفريق، "وكلّ شَيئَينِ فصلت بَينهما فقد فرَقتهما فَرْقاً، وكلّ ناحية منهما فرْق وفَريق"[5]، والأصل في معناه " يدُلُّ على تمييزٍ وتَزييلٍ بين شَيئَينِ. مِن ذلك الفَرْقُ... ومِنَ الباب: الفَريقَةُ، وهو القَطيعُ مِنَ الغَنَم، كأنّها قِطعَةٌ فارَقَت مُعظَمَ الغَنَم"[6].

والفَرق: الانفصال عن الشّيء، والفريق جماعة تتفرّق وتنفصل عن غيرها[7] ومعنى الفريق في الآية: "جمع، كالطّائفة، لا واحد له من لفظه، وهو فعيل من التّفرّق، سمّي به الجُمَّاع (أَخْلاطُ الناس من قبائلَ شتَّى)، كما سمّيت الجماعة بالحزب، من التّحزّب"[8].

4) ﴿يَسْمَعُونَ﴾: الجذرُ اللّغويّ لهُ (سمع)، وأصلُ معناه "إيناسُ الشَّيءِ بالأُذُنِ، مِنَ النَّاس، وكلِّ ذي أُذُن. تَقولُ: سَمِعتُ الشَّيءَ سَمعًا. والسّمعُ: الذِّكرُ الجَميلُ"[9].

ومعنَى السّمع "قوّةٌ في الأُذن، بهِ يُدرِكُ الأصواتَ وفعلُه يُقالُ له السَّمعُ أيضًا، وقد سمِعَ

(1) الزّجّاج، تفسير أسماء الله الحسنى، ص: 32-31.
(2) الأزهري، تهذيب اللّغة: (أمن).
(3) عبد الرّحمن البراك، شرح العقيدة الطحاويّة، ص: 293.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/567.
(5) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (رفق).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فرق).
(7) الرّاغب، المفردات: (فرق).
(8) ابن جرير، جامع البيان: 2/244.
(9) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سمع).

سمعًا"[1]. وكلُّ "ما في القرآنِ من التركيبِ... من سماعِ الأذنِ - إلاّ في وصفِ المولى ﷻ؛ فهو عِلمُ ما يُقالُ بكيفيّةٍ يعلمها ﷻ"[2].

ومعنى ﴿يَسْمَعُونَ﴾ في الآية: سماعهم الوحي بوساطة الرّسول ﷺ في زمن موسى عليه السلام، أو بوساطة النّقل لمن جاء فيما بعد[3].

5) ﴿كَلَمَ﴾: اسم مصدر، والفعل منه (كلّمَ)، وجذره اللّغويّ من (كلم)، وأحد أصلي الكاف واللّام والميم "يدُلُّ على نطق مُفهِم... تقول: كلّمته أُكلّمه تكليمًا؛ وهو كَليمِي إذا كلّمك أو كلّمته. ثمّ يتّسعون فيسمُّون اللّفظة الواحدة المُفهمة كلمة، والقصّة كلمة، والقصيدة بطولها كلمة"[4].

والكلامُ "يقع على الألفاظ المنظومة وعلى المعاني الّتي تحتها مجموعةً، وعند النّحويين يقع على الجزء منه، اسمًا كان أو فعلاً أو أداة، وعند كثير من المُتكلّمين لا يقع إلّا على الجملة المركّبة المفيدة"[5].

ومعنى كلام الله المُراد في الآية: ما أوحاه الله تعالى لموسى[6] عليه السلام.

6) ﴿يُحَرِّفُونَهُۥ﴾: من الجذر اللّغويّ (حرف)، "وتحَرَّفَ فلانٌ عن فلان وانحرَف، واحرَورَفَ واحد، أي: مالَ"[7]، فالتّحريف من الميل، ومنه الانحراف.

وله أصل في المعنى دالّ على "الانحِرَافِ عَنِ الشَّيءِ، يُقالُ: انحرفَ عنه يَنحَرِفُ انحِرافًا. وحَرَّفتُهُ أنا عنه، أي: عَدَلتُ به عنه، ولذلك يُقالُ مُحَارَفٌ، وذلك إذا حُورِفَ كَسبُهُ، فميل به عنه، وذلك كتحريف الكلام ، وهو عَدلُه عن جهته"[8].

والتّحريف مصدر، فعله (حرّف) فعل مُضعّف، وهو التّغيير والتّبديل والخروج عن

(1) الرّاغب، المفردات: (سمع).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (سمع).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/568.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كلم).
(5) الرّاغب، المفردات: (كلم).
(6) محمّد رشيد رضا، تفسير المنار: 1/295.
(7) الخليل، العين: (حرف).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حرف).

الطّريق[1]، والتّحريف من الإمالة، ومنه تحريف الكلام[2]، وهو الوارد في الآية، والمعنى: "تحريفهم له تبديل لفظ بلفظ آخر يغيّر معناه، وقيل: بل هو تحريف المعنى دون اللّفظ"[3].

7) ﴿يَعْلَمُونَ﴾: أصل حروفه (علم)، وله "أصل صحيح واحد، يدُلُّ على أثر بالشّيء يتميّز به عن غيره. من ذلك العلامة"[4]، ومن معانيه أنّه "ضدّ الجَهل، رجل عَالم من قوم عُلَماء وعالمين، وأعلام القَوم ساداتهم، ومَعالم الدّين: دلائله"[5]. والعلم بمعناه الاصطلاحيّ "إدراك الشّيء بحقيقته؛ وذلك ضربان: أحدهما: إدراك ذات الشّيء، والثّاني: الحُكم على الشّيء بوجود شيء هو مَوجود له، أو نفي شيء هو مَنفيّ عنه"[6].

والعلم يدُلُّ أيضًا على "اليقينُ، يُقالُ: عَلِمَ يَعلَمُ إذا تَيَقَّنَ. وجاء بمعنى المعرِفَةِ أيضًا كما جاءَت بمعناهُ ضُمِّنَ كلٌّ واحدٍ معنى الآخرِ؛ لاشتراكِهما في كونِ كُلِّ واحِدٍ مَسبوقًا بالجَهلِ"[7].

ومعنى ﴿يَعْلَمُونَ﴾ في الآية: أنّهم موقنون ببطلانهم وكذبهم في ما يقومون به من تحريف[8].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

خطابٌ للرّسول ﷺ وللمؤمنين معه صدَّره الحقّ تبارك وتعالى بهمز الاستفهام المتضمِّن للإنكار: أنسيتم أفعالَ بني إسرائيل، فطمعت نفوسكم أن يصدِّق اليهودُ بدينكم؟ فهو أسلوب يفيد زوال الطّمع في إيمانهم؛ لمكابرة هؤلاء اليهود الّذين بين أظهركم، وهم متماثلون في الأخلاق الذّميمة، لا يأتي من أخلافهم إلاّ مثل ما أتى من أسلافهم، وقد كان طائفة فيمن سلف منهم، يسمعونَ كلامَ اللَّهِ، وهو ما يتلونه من التّوراة ثمَّ يُحَرِّفونه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/568.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (حرف).
(3) السّمين، عُمدة الحفّاظ: (حرف).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (علم).
(5) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (علم).
(6) الرّاغب، المفردات: (علم).
(7) الفيوميّ، المصباح المنير: (علم).
(8) ابن جرير، جامع البيان: 2/249.

– من بعد ما فهموه بعقولهم – عن قصد، وسوء طويّة، بِصَرْفِه إلى غير معناه الصحيح، أو بتحريف ألفاظه؛ لأنّهم كانوا عالمين به[1].

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

غرضُ تصديرِ الآيةِ بالهمزة:

تيئيسُ المؤمنين من إيمانِ هؤلاءِ المتَّصفين بالمذكورِ

قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾ تركيبٌ قرآنيّ فريدٌ لم يأتِ على هذه الشّاكلة إلَّا في هذا المَوضِع من القرآن الكريم، وهو اقتران الفاء مع الهمزة مع الفعل (تطمعون)، وقد تأخّرتِ الهمزة، وحقُّها التّقدّمُ؛ لأنّها رابطة للجملة السّابقة، وهي "لتفريعِ الاستفهامِ الإنكاريِّ أوِ التَّعجيبيِّ على جملة (ثُمَّ قَسَت)"[2]، لكن لخصوصية الهمزة في الصّدارة تأخّرتِ الفاء، والهمزة هنا "استفهامٌ فيه معنى الإنكارِ، كأنَّه أيأسَهُم مِن إيمان هذه الفِرقَةِ مِنَ اليهود، أي: إنْ كفروا فلهم سابقةٌ في ذلك"[3]؛ فالهمزة دالّة على تيئيس المؤمنين من إيمان اليهود، وقطع لطمعهم المُتجدّد الّذي يمثّل جانبًا من صفاتهم الحميدة في حبّ الخير للآخرين.

إيثارُ التّعبيرِ بالمصدر المؤوّل ﴿أَن يُؤْمِنُواْ﴾ على الصّريحِ (إيمانهم):

تنبيهُ المؤمنين على منهجِ اليهودِ الثّابتِ؛ فلا يغفلوا عن حقيقتِهم

الهمزة في قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾ للاستفهام الإنكاري، والسُّؤال موجَّهٌ للمؤمنين عن طمعهم بإيمان أهل الكتاب، وقد عبّر عنه بالمصدر المؤول ﴿أَن يُؤْمِنُواْ﴾، ولم يعبّر بالمصدر الصّريح (إيمانهم)؛ لأنّ المصدر المؤول ذو دلالة تجدّديّة حاضرًا ومستقبلًا؛ لدلالته على الحدوث مع لمح الزّمن؛ ولحرصِ المؤمنين "الشّديد على إيمانهم؛ جعلهم يطمعون في ذلك"[4]، وبما جُبلوا على

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 1/166، ونخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص: 11.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/566.
(3) القُرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 2/210-211.
(4) السّمين، عُمدة الحفّاظ: (طمع).

حبّ الخير لغيرهم؛ يطمعون دائمًا في إيمان أولئك، ولا ينفكّون عن دعوتهم لاتّباع سبيل الهدى والإيمان.

إيحاءُ حذفِ حرف الجرِّ مع فعل الطّمع:

حُذفَ حرفُ الجرِّ في قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾ والتَّقدير: "في أن يُؤمنوا"(1)، وفي حذف حرف الجرّ إيحاءٌ بأنّ الطّامعين في إيمان أولئك النّفر من اليهود مُتعجِّلون في حصول الإيمان؛ لأنّ الحذف قرين السّرعة والاختصار.

تعديةُ الفعل ﴿يُؤْمِنُواْ﴾ باللّام:

تضمينُ الإيمانِ معنى الإذعانِ والتّسليمِ

تعدَّى فعل (يؤمنوا) في قوله تعالى: ﴿۞أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾ باللّام، "واللّام في قوله ﴿لَكُمْ﴾ لِتضمِينِ يُؤمنوا معنى يُقِرُّوا، وكأنّ فيه تَلميحًا إلى أنّ إيمانَهُم بصِدقِ الرَّسول حاصلٌ، ولكنَّهُم يكابرون، ويَجحَدون"(2)، ولتضمينِ الفعلِ معنى الإذعانِ والإقرارِ والتّسليمِ، وهو مجرَّدُ طمعٍ، ومع ذلك فهم لا يؤمنون.

سرُّ دخولِ (مِنْ) في قولِه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾:

المسارعةُ في التَّحريفِ، تكشِفُ شديدَ قبحهم

قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾، توقيتٌ مُستعجل لتحريف كلام الله، وقوله: (مِنْ) حرف جرّ، يفيد ابتداء الغاية، والإتيان بها لتقريبِ البعيدِ، والإسراع في تبديل كلام الله وتحريفه، وثمّة فرق بين قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ و(بَعْدَ ما عقلوه)، في أنّ الثّاني يحتمل وقتًا ممتدًّا قد يطول، أمّا الأوّل فيكون بعد الحدث مباشرة، وهو تحريف الكلام، وهو دليل على تعاظم ذنبهم فيما ارتكبوه؛ فلم يعطوا لأنفسهم مُهلةً، بل باشروا بتحريفه على وجه السّرعة.

(1) العكبريّ، التّبيان: 1/79.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/567.

دلالة الجملةِ الحاليّةِ على الذّمّ والتّقبيح:

ارتكابُ المعصيةِ مـعَ العلـمِ بها يستحقّ الـذّمّ الشَّديد

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ جملة خبريّة حاليّة، خرجت إلى معنى الكمال في قبح العمل والصّنيع؛ لأنّهم حرّفوا التّوراة عن قصد وعلم، "وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ قولان: أحدهما: وهم يعلمون أنّهم حرّفوه، والثاني: وهم يعلمون عقاب تحريفه"[1].

ومَن كان هذا حاله في ارتكاب المعصية والذّنب، وتعمد التّحريف مع علمه، فإنّه يستحقّ الذّمّ، والتّوبيخ، والتّقريع، كمن يصنع قبيحًا، فيُقال له: تفعل ذلك، وأنت تعلم!!

(1) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 1/80.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»